فبطل ان يشترط السماع فى التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
واما النسفى فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون للرء فى الشىء راى وليل يميل من طبعه
وهواه فيتاول القرآن على وفق رأيه وهواه ليصح على تصحيح عرضه ولو لم يكن له ذلك الراى
والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحرف بعض
ايات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك وتارة يكون يلبس بدعته على
خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق
عرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه اى رأيه هو الذى حمله على ذلك
التفسير ولو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له
دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد بذلك بل يدعوا الى الاستغفار ربنا اغفر لى
بقوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة وينزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو
يعلم ان المراد به الاكل وكالذى يدعوا الى مجاهدة القلب القاسى فيقول ان الله تعالى قال
اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومى الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمل
بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد
يستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل
فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انه غير مراد بل هذه
الفنون احد وجهى المنع من التفسير بالراى ويكون المراد بالراى الراى الفاسد الموافق
للهوى دون الاجتهاد الصحيح والفاسد والموافق للهوى وقد يخصص باسم الراى

ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع
والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من
الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير بادر الى
استنباط المعانى بمجرد فهمه العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالراى فالنقل
والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير اولا تتبقى يد مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع
التفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها
ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز للمتهاون بحفظ التفسير الظاهر ان يطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن دون احكم
التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعى ملكة
مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير بحر عميق
اللغة التى لا بد منها للفهم وما لا بد فيها من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف
والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا
انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان الناقة كانت مبصرة ولعل ثمة

ولا يدرى

ولا يدرى انهم لما ظلموا انفسهم وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم
العجل اى حب العجل فحذف الحب وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى
بذكر الحيوة والموت وكل ذلك جايز فى فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها
والعير التى اقبلنا فيها يعنى اهل القرية واهل العير والاهل محذوف مضمر وقوله تعالى ثقلت
فى السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشىء اذا خفى ثقل ما يدل
اللفظ به واقيم فى مقام على واضمر الاهل وحذف قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اى شكر رزقكم وقوله تعالى وانا ما وعدنا على رسلك اى على السنة رسلك فحذف الالسنة
وقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب
اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اى
يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك
فان لم يرد هذا كان منافضا لقوله تعالى قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب
القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اى طور سينا وسلام على
ال يسين اى على الياس وقيل ادريس لان فى حروف ابى مسعود سلام على ادراسين ومنها
المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله تعالى
وقال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن معناه الذين استكبروا لمن امن
منهم من الذين استضعفوا ومنها المقوم والمؤخر وهو مضمر الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصيبا كالمزام
وقوله تعالى ميسا لونك كالذى هنى عنها اى يسالونك كالذى هنى وقوله تعالى لهم مغفرة
ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون فهذا كلام
غير متصل وانما هو عايد الى قوله الستابق يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اى فصارت انفال الغنا ثم لك اذا خرجت وانت راض
بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله
تعالى حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه معناه قد كانت لكم اسوة حسنة فى
ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم الا قول ابراهيم لابيه ومنها المبهم وهو المذكر المشترك
بين معان كثيرة من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشىء والقرء والامة والزوج ونظايرها
قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء اراد به النفقة هل يرزق

Columbia University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)